مِن أعظم الفوائد التي يمكن استخلاصها من الحياة، هي أنّنا نقضي حياتنا عاملين على قضية ستخلد بعدنا!

وليم جايمس

فسيفولد إيميلوفيتش مايرخولد

العبقري المشاغب

MICHEL JABRE
IESAV – USJ

هو ممثل ومخرج ومربٍ. رجل مسرح بامتياز، حائز على لقب "فنان الشعب" على مستوى الجمهورية للعام 1929. ([1])

الاسم الحقيقي لفسيفولد مايرخولد هو كارل كازيمير تيودور مايرغولد. ولد في 28 كانون الثاني العام 1874 بحسب التقويم القديم، في مدينة بينزا، من عائلة المانية حصلتْ لاحقاً على الجنسية الروسية، وكانت تملك مصنعا لتقطير النبيذ. والده إميل فيدوروفيتش مايرغولد، ووالدته ألفينا دانيلوفنا. عندما انتقلت البلاد الى التقويم الجديد، طُلب من المواطنين أن يزيدوا ثلاثة عشر يوما على روزنامة التقويم القديم. فكان من نتيجتها أن أصبح يوم مولده موافقاً في العاشر من شهر شباط. وعندما أوضحوا له، فيما بعد، أن على مواليد القرن التاسع عشر إضافة اثني عشر يوما فقط، إنتقل يوم مولده الى التاسع من شباط ، لكنه قرر ألا يصحِّحه مرة أخرى مكتفياً بأخذ العلم والخبر وحسب. أي أنه بالرغم من معرفته بالقوانين الجديدة تابع الإحتفال بمولده في العاشر من شهر شباط، وقد غدا ذلك تقليدا عائليا.

كان لعائلة كارل، التي تتألف من سبعة أولاد، خمسة ذكور وأنثيَيْن إثنتين، مدرّسون خصوصيّون يتابعونهم يوميا. وبالرغم من أن والده كان يحاول ضبط الإنفاق، غالباً ما كانت والدته، ذات التطلعات السامية، تنظِّم الأمسيات الثقافية والفنية والموسيقية في دارتها. وفي هذه الأجواء نما حبّ المسرح عند الأولاد، وصاروا، بتشجيع منها،يشاركون في عروض مسرح الهواة .

أنهى مايرغولد تحصيله المدرسيّ متأخرا، لأنه أعاد صفوفه في السنوات الاولى ثلاث مرات. وعندما أنهى دراسته الثانوية في العام 1895 إلتحق بكلية الحقوق في جامعة موسكو. في هذه السنة بالذات إعتنق الأورثوذوكسية، وغيّر إسمه الى فسيفولد، تيّمنا بكاتبه المفضل ف. م. غاريشين. كما غيّر إسم عائلته من مايرغولد، كما يُلفظ باللغة الالمانية، الى مايرخولد بما يتطابق مع قواعد النطق في اللغة الروسية.وفي 25 حزيران من العام نفسه، تخلى عن الجنسية البروسية، وحصل على هوية روسية.

في 17 نيسان العام 1896 تزوَّج من أولغا مونت، التي كان قد تعرّف بِها العام 1892 عندما إشتركا معاً في مسرح الهواة. إحتفلا بزفافهما في مسقط رأسه في مدينة بينزا حيث أمضيا شهر العسل. وبعد سنة

[1] هناك تنصيفات تعطيها السلطة للفنانين (- فنان قدير- وفنان الشعب على مستوى الجمهورية .ثم نفس الدراجات على مستوى الاتحاد السوفياتي

ولدت لهما إبنتهما ماريا. وفي العام 1896، المصيريّة بالنسبة لمايرخولد، إلتحق طالباً في السنة الثانية في محترف المسرح الموسيقي التابع لجمعية الأوركسترا الفيلارمونية في موسكو، والتي كان يتولّى إدارتها نيميروفيتش دانشكو([2]). وبالرغم من أن هذا الأخير إعتبر أن المعطيات الخارجية لمايرخولد لا تلائم خشبة المسرح، نظراً لحدّة ملامح وجهه، ورتابة صوته، إلا أنه قدّر فيه تلك الطاقة والإرادة الصلبة التي يتطلبها فن الخشبة. ونظراً لذكائه وتألقه في مجال الأدب والموسيقى وتاريخ المسرح، وسلاسة التعبير نطقاً وكتابةً، وحبّه الإختلاط بالناس، وميْله الى الإخراج، أوكل اليه إعادة صياغة العروض المسرحية السابقة في المدرسة، وعرضها في نادي الصيّادين. كان ميرخولد أول من عرف بتأسيس مسرح جديد ([3])، وقد توّقع نيميروفيتش أن ينضم اليه طلابه. وعندما أنهى دراسته المسرحية (العام 1899) مع الممثلة كنيبر([4]) والممثل ماسكفين، إلتحق الثلاثة بالفرقة التي أسسها "مسرح الفن" في موسكو، حيث لعب مايرخولد، في خلال أربعة مواسم، ثمانية عشر دوراً، برع فيها حتّىلدرجة أنّ بعض الأدوار اشتُهرت واكتسبت أهمّيتها بسبب اقترانها باسمه، مثل دور تريبليف في مسرحية " النورس، وتوزنباخ في "الأخوات الثلاث"، ويوغان فوركات في " النسَّاك ". كما لعب مايرخولد دور إيفان الرهيب بعد ستانيسلافسكي، وكان أول من أدى دور فاسيلي شويسكي في مسرحية " القيصر فيدور إيفانوفيتش "، وكبير الخدم في مسرحية " الحكام"، والأمير أراغون في مسرحية " تاجر البندقية "، ودور الماركيز موليبوبولي في " خادمة الملهى"،وتيرسياس" فيأنتيغون" ، ومالفيليو " في الليلة الثانية عشر" ، والسيد فلور في " البطة البريّة "، والامير تروبتشفسكي في " ألاحلام "، وبيتر في " البورجوازيون الصغار"، وحاكم المدينة في " دكتور شتوكمن ". ولعب أيضاً دوراً صغيراً في نفس المسرحية، وخضع في مسرحيات أخرى لقاعدة " اليوم هاملت وغدا كومبارس ".

مروحةٌ واسعة من الأدوار لعبها مايرخولد بدءاً بـ"البوفونوري"([5]) في دور أمير أراغون،وهو دور أشاد به ستانيسلافسكي كثيراً، وصولاً الى التراجيديا في دور ايفان الرهيب. اهتمّمايرخولد باختيار الأدوار التي تمكّنه من سبر نفسية أوساط الإنتليجنسيا الممزَّقة.فشخصية تريبليف هي إحدى هذه الشخصيّات الغريبة ، بغرورها الممزّق، وإحساسها الأليم بالموهبة الضائعة، بفشلها، بغضبها الدائم والناقم، بتعطشها الى أن تكون مغمورة بالحب. إستمرت علاقة مايرخولد مع "مسرح الفن" أربعة مواسم متتالية. لكنه التحق مجدّداً بالفرقة أثناء إقامته المؤقتة في موسكو، في ربيعَيْ العامين 1905 و1906.

إذا ما حلّلنا أسباب خروج مايرخولد من كنف مسرح الفنّ نجد أنّها تشكّل بحدِّ ذاتها مادة نقاش. فالممثل البالغ في حينه الرابعة والعشرين من العمر، والذي كان يطمح إلى حدّ الهوس بلعب دور القيصر فيدور، لم يبالغ عندما قال أنه لن يتحمل حرمانه هذا الدّور. إن سلوك نيميروفيتش دانتشنكو تجاهه، عندما فضّل عليه الممثل ماسكفين، تحوّل مع الوقت مصدرشكٍّ دائم تجاه معلمه، وذلك إلى أن انفجرت مشاعر العداءوالازدراء التي نمت في الطالب مايرخولد في مواجهة علنيّة، أثناء العرض الأول لمسرحية نيميروفيتش "الأحلام". وعند إعادة تنظيم المسرح هيكليّاً واقتصاديّاً، في منتصف الموسم الرابع، لم يَرِدْ إسم مايرخولد وغيره من " المؤسِّسين " في عداد المساهمين.

سارع مايرخولد وكوشيروف، الذي غادر معه، إلى الشروع في نشاط مسرحي جديد، وعملا على دحض ما أشيع عن أن سبب إنقطاعهما عن الجمعية هيالإجحاف المادّي بحقّهما، وليس طموحهماإلى تنفيذ برنامج

[2] أسس فيما بعد مع ستانيسلافسكي " مسرح الفن " موسكو

[3] يقصد " مسرح الفن " موسكو

[4] أولغا كنيبر زوجة الكاتب أنطون تشيخوف

[5] La bouffonnerie

إبداعي خاص بهما.فمنوجهةنظرنيميروفيتش - دانشينكو،التي صدرت عنهمابعدرحيلمايرخولد، إنهذاالبرنامج " فيه الكثير من الغموض والإرباك. إنه خليطٌفظٌّمننيتشه،وماترلينكواللليبراليةالضيّقة التي قد تتحولإلىالتطرّف. وفي الواقع، ما أدراك ما هو هذا البرنامج : "خبيصة بيض وبطاطا". إنه إرباك رجل يكشف عن حقائق كثيرةتتدافع كلّ يوم".

.

أطلق مايرخولد على الفرقة التي أسّسها إسم "جمعية الدراما الجديدة".إفتتحتموسمها في 22 أيلول العام 1902 وأشتمل فهرس عروضهاعلى ذخيرةالمواسمالاولى لـ"مسرحالفن". لقد عرضتكل مسرحياتتشيخوف وهوبتمان وغوركي إضافة إلىمأساتَيْأليكسيتولستوي. وكانيُنظرإلىعروضمايرهولدوكوشيفيروف،اللذينتشاركا الإخراج فيالبداية، على أنها نسخة طبق الأصلعن عروض"مسرحالفن".

في أوائلربيع العام 1903،أرسلمايرهولدزوجته تاتيانإلىبينزا،حيث أنجبت له في 31 أيّارابنةثانية، فيما رافق هوالفرقة،فيجولة شملتأولاً مدينة نيكولايف،وبعدها مدينة سيفاستوبول.وفيأواخرآذار العام 1905، قدم إلىموسكووعقدمحادثاتمعستانيسلافسكيلإنشاءمسرحجديد. كتب اليه يقول : " هاجسي الوحيد هو إمتناني لمسرح الفنّ بعد كل ما قدمه لي،وأريدأنأعطيهكل ما لديّ من طاقة!!!".

ولضمانانجاحهذاالتعاون بين "مسرحالفن-موسكو"و"المسرحالجديد"، تمّ التوافق على أن يكون "التوّق الى الجمال المطلق،ومحاربةالروتين،والبحثالمتواصلعن وسائلتعبيريةجديدة،أسُساً مشتركة لانتاجاتهما ". لقد بدا كل ذلك، كلاماً عاماً ومُبهماً، لتجنب الإقتراب من قائمة التباينات العميقة والشديدة الوضوح في وجهات النظر الجماليّة.

بعدالعودةإلىمسرحهالأم أي "مسرح الفن" ،أثارمايرخولدنزاعا مع نيميروفيتش دانتشنكو، عند مناقشتهمسرحيةهامسون "دراماالحياة"،التي كان قد تقرّر إنتاجها.كانستانيسلافسكيغائباعنهذاالدرس.قدّممايرخولدأطروحاتهباختصار. دُهِشنيميروفيتش-دانشينكو، كيف أن ستانيسلافسكي تحمّس بسهولة لهذا الوافد الجديد ،" الذيلايخاطربأيشيء،بغضالنظرعنالهراءالذي ينطق به " ، لقد أقترح تغييراًكاملاًلأسلوبعملالبروفة. " فهو إما نابغة وعبقري حتى الجنون، وهذا لا يتناسب مع عقولنا المتواضعة، وإما عقيم عديم الفائدة ". فبالنسبة لنيميروفيتش لم يكن قد رأى بعد، حتى تلك اللحظة في ربيع العام 1905، ما يؤكد عبقرية مايرخولد. فبعث بعدة رسائل الى ستانيسلافسكي، وقعت إحداها في ثماني وعشرين صفحة. فجاء جواب ستانيسلافسكي مقتضباً. لقد رفض " مناقشة شخصيّة مايرخولد، وما إذا كان عظيماً أو تافهاً، حذقاً أم بسيطاً. أنابحاجةاليه ... أنا بحاجةإلى عنصر نشيط ". كان بإمكانهأنيكتب: أحتاجه لأنه عبقري. فإذا كان نيميروفيتش دانشكو على وجه العموم مُصيباً في كل التفاصيل التي وردت في رسالته عندما تطرق الى موهبة "هذا الوافد البغيض" ، فإنّ ستانيسلافسكي كان مصيباً أيضا.

في شهر تشرين الاول من العام 1905 توقّف محترفبفاروفسكايا الذي كان قد أسَّسه ستانيسلافسكي وسلّم إدارته الى مايرخولد،عن النشاط([6]) بعد أن كان هذا الأخير قد إنتهى من العمل على بروفات مسرحيّتَيْ "موت تانتاجيل " لماتيرلينك، و " شلوك و ياو " لهوبتمان، وغيرها من الأعمال.

[6] أنه المحترف الاول الذي أسسه ستانيسلافسكيويقع في شارع بافاروفسكايا وذلك لكي يوفّر لمايرخولد فرصة القيام بتجاربه

في أيار من العام 1906 دفع ستانيسلافسكيكامل رواتبالعاملين من ماله الخاص وليس من مال شركة ألكسيف([7]) خاسراً كل ما يملك، وفي ذلك كتبيقول: "أناضحيةهذهالمؤسسةالفاشلة،ولكنليسليالحقّ فيأنأذكرهابالسوء.وعلاوةعلىذلك،يجبعلى مسرحالفن أنيحافظعلىذكرىجيدةلطفلهالمتوفى".

أما مايرخولد فكتب عن تجربته في محترف بافاروفسكايا مقالة في مجلة المسرح ((للتاريخوالتكنولوجيا)،لميستعد فيهاظروفالتجربة وحسب،وإنما سقطفيجدليةالمسرحكفن،فيتناقضاته،التي هي منطبيعةفن الخشبة.فيهذهالمقالةالتي نشرت في العام 1907 أعلن فيها أنه من أنصار الرافضين لإستنساخالطبيعة،ومن المنادين بالتخليعنهاجس نقل الواقع منجزاً تاماً في صورة طبق الأصل.فهو يميل الى المسرحالذييجذبكنحوالألغاز،إلىمايثيرالقدرةعلىالتخيّلوالحلم. نظربازدراءالى المنهجالتحليليّفي معالجة النص والشخصيات، والمقاربة العقلانية لدى قراءة النص، في مرحلة العمل على الطاولة. فهو من تجربة "مسرح الفن"، لم يرتض، أن يرث "المسرح الجديد " إلا شاعرية نص تشيخوف وتناغمه، والقدرة على "الإرتقاء بإبداعاته نحو هذه الغشاوة الفضيّة التي تحيط بالقمر".غيرأنصاحبالمقالكانمقتنعاًبأن "مسرحالفن"، قد بدأيبتعدتدريجيا عنروحيّة درماتورجية مؤلفهالمحبّب اليه وجوهره. "فهو لميلاحظكيفأن تشيخوف إنتقلمنالواقعيةالدقيقةإلىالغنائية،والباطنية الصرف".

بعدما أستأنف مايرخولدعرض أعمال "جمعيةالمسرحالجديد" فيالمقاطعات،دعتهفيراكاميسارجيفسكايا([8])لإدارة مسرحهاالجديدفيالكلية الحربية، كمخرج رئيس.أفتتحالمسرحفيالعاشرمنتشرينالثاني وأخرجفيموسمواحد،ثلاث عشرة مسرحية،بمافيذلك "الأختبياتريس" لماترلينكو" المهرج"لأكسندربلوك، و"حياةإنسان"لليونيدأندريف. إنتهى موسمالمسرحفي الكلية الحربية في 4 أذآر العام 1907.

فيالعام 1908، تجرأ فاتيلياكوفسكيمديرالمسارحالإمبراطورية،ودعا زعيمالطليعة المسرحيةإلى مسرح ألكسندرينسكي، قلعةالمحافظين التقليديين. بقيمايرخولد في هذا المسرح حتىالثورة.أخرج فيهعشرين عرضا. وقد جذبه عداءهللروتينإلىالتقاليد الأصيلة وتقنياتوأفكارالمسرحالقديم. فأنتج بشكل رائع ومؤسلب لعصر ملك الشمس ، مسرحية دون جوان لموليير العام 1910. وفيتلكالمرحلة أيضا،قدمعروضالفاغنروريتشاردشتراوسفيمسرح مارينسكي الإمبراطوري،وأجرىتجاربفي "مسرحالبرج"

---

[7] اسم عائلة ستانيسلافسكي هو ألكسييف. ستانيسلافسكي هو اسم مستعار.عائلة ألكسييف كانت تملك مصنعا للتبغ والسجائر، وترعى نشاطات ستانيسلافسكي الفنية الذي صار عنده في ما بعد رعاة آخرون، منهم ماروزوف، ساعدوه على تغطية تجاربه الفنية، وبناء مسرح الفن في موسكو.

[8]Vera Fyodorovna Komissarzhevskaya; 8 November 1864 – 23 February 1910) was one of the most celebrated actresses and theatre managers of the late Russian empire . She made her professional debut in 1893, after having acted as an amateur at Constantin Stanislavsky's Society of Arts and literature.. She is probably best known today for originating the role of Nina in the ill-fated premiere of Anton Chekhov's The Seagull, at the Alexandrinsky Theater in Saint Petersburg in 1896. Though the production was deemed an utter failure, Komissarzhevskaya's performance was highly praised. Later in her career, Komissarzhevskaya is notable for her patronage of the up-and-coming theatre artist, Vsevolod Meyerhold. Following Meyerhold's unsuccessful attempts to stage symbolist plays at Stanislavsky's Moscow Art Theater Komissarzhevskaya invited him to try his experiments at her new Dramatic Theater. Duringtheir short-lived collaboration, the two managed to develop Meyerhold's symbolist aesthetic and Komissarzhevskaya herself starred in two of the most critically and commercially successful productions.artist, Vsevolod Meyerhold. Following Meyerhold's unsuccessful attempts to stage symbolist plays at Stanislavsky's Moscow Art Theater, Komissarzhevskaya invited him to try his experiments at her new Dramatic Theater. During their short-lived collaboration, the two managed to develop Meyerhold's symbolist aesthetic and Komissarzhevskaya herself starred in two of the most critically and commercially successful productions.

أثناءالعملعلىأداء "عشقالصليب" ،وفي نادي "إنترميدياهاوس"،على "وشاحكولومبينا".فيالعام 1914 أسسمحترف بورودينسكايا،وإستوحى أعماله منكارلو غودزيوالكوميديادیلأرتي،إذ إنّه أقام عروضا مرتجلة وأصدرمجلة" عاشق البرتقالات الثلاث". أثناءعمله هذا،اتَّخذلنفسه إسما مستعارا مستوحى منعملهوفمان، هو الدكتورداببرتوتو([9]). في هذه المجلة، نشر مايرخولد مقالة هشّم فيها برنامج عمل المحترف الاول بعنوان : "صرصار في الموقد أو في ثقب المفتاح". وعندما سمع عن اهتمام ستانيسلافسكي بالمجلة، أرسل اليه الأعداد المنشورة، كبادرة حسن نية وإحترام.

آخر عرض أخرجه مايرخولد قبل الثورة هو "حفلة تنكرية" للكاتب ليرمونتوف، وتعاون في تنفيذه مع فنان الديكور الكسندر غولوفين الذي طالما عمل معه.وقد استوحى مشاهده من شخصيات كرنفال البندقية، منكآبة فاضت روعتها،فعبّر عن عدم الإستقرار الرهيب على طاولات لعب الورق،والإحتفالات في منازل المدينة، وفيها تظهر صورة الموت الذي يجول في مركب (الجندول) مراراً وتكراراً بين ظلال بطرسبرغ. عُرضت المسرحية في شباط العام 1917، وإنضمت الى مجموع أعماله الذي بلغ في هذه الفترة إحدى وعشرين مسرحية درامية وعشر مسرحيات موسيقية. لم يكن يعود الى منزله الواقع في جوار مسرح مارينسكي إلا لينام فقط"([10]).

كان مايرخولد أول المخرجين الكبار الذينالتحقوابالسلطة السوفياتية، ليسفقط كمخرج لمسرحية مایاكوفسكي " ميستيريا-بوف " ([11]) التي صمم ديكورها ك. ماليفيتش، بل كموظف حكوميّ.

في العام 1917 أيَّد فسيفولود مايرخولد من دون قيد أو شرط،الإنقلاب الذي نفَّذه البلاشفة،وبالإتفاق مع الشعراء بلوك، مایاكوفسكي، وغيرهم قدم إلى مدينة "سمولني" كي يعلن إستعداده للتعاون مع الحكومة الجديدة، وكان قد بلغ الثالثة والأربعين من العمر، وغدا أباً لثلاث بنات بالغات. إعترفت به السلطات السوفياتية كمؤسس لجمالية طليعية، ومدافع عن طروحات "مسرح جديد"،وأبقته في منصبه الذي كان يشغله منذ العام 1907 كمدير رئيس للمسارح الإمبراطورية،الدرامية والأوبرالية،أي مسرحَيْ ألكسندرينسكي وماريينسكي، في سانت بطرسبرغ.

إنضم الى الحزب الشيوعي البولشفيكي،وترأس اللجنة الوطنية للدفاع التابعة للمفوضية الشعبية للتعليم. وبتحريض منه هاجمت الصحافة الموجهة المسارح الأكاديمية، فربطت مسرحية "إبنة أنجو"([12]) التي أخرجها نيميروفيتش دانتشنكو على خشبة مسرح الفن موسكو، بحركة"أنطونوف" ([13]) و"تمرد "كروتشاد" ([14]) ونعتت جمهوره ببقايا البَيْض الذين لم ينجحوا في الإلتحاق بالجنرال الأبيض " فرانجل".

[9]Deppartutto

[10]The **Mariinsky Theatre**, is a historic theatre of opera and ballet in Saint Petersburg,. Opened in 1860, it became the preeminent music theatre of late 19th century Russia, where many of the stage masterpieces of Tchaikovsky , Mussogorsky, and Rimsky-Korsakov received their premieres.

[11]Mysteria Bouff

[12]La fille de Madame Angot,- premier spectacle dans le répertoire du Studio musical du Théâtre d'Art de Moscou.

[13]Le nom du meneur de la révolte de la révolution antisoviétique Koulak dans la province de Tambov en 1920-1921, une des formes de contre-révolution petite-bourgeoise au cours de la guerre civile et d'intervention étrangère en Russie.

[14] Le dernier grand mouvement contre le régime bolchevique, sur le territoire russe, pendant la guerre civile et la plus importante manifestation ouvrière d'opposition au communisme guerre.

أعتبر مايرخولد أن مهمته باتت الآن مساعدة الحكومة الجديدة عبرالوسائل المتاحة للمسرح الثوري التحريضي. فمقالتهبالإشتراك مع بيبوتوف و ديرجافين " الدرماتورجيّة وثقافة المسرح" هي دعوة إلى الثورة ضدّ " هذا المسرح الباهت، ضدّ هذه اللوثرية، هذا الهيكل ذي السيكولوجية الباطنية المترهلة، التي تسبّب الغثيان للجمهور غير المهيأ. وإن يكن بعضهم معجباًبهذا المسرحسيقع في فخ هذا البورجوازي الصغير القادر على إبهارك،ويتوجب عليك تجنبه إذا كنت ترغب فعلاً أن تصبح مواطناًمن هذا العالم الشيوعي الجديد".

وفي العدد التالي من المجلة نفسها "أخبار المسرح"([15])، تم نشر مقال مثير للجدل بقلم مايرهولد وبيبوتوف تحت عنوان "عزلة ستانيسلافسكي"، إذ صُوِّر فيه ستانيسلافسكي ضحية "المعاناة"[16]، ضائعاً، مرهقا، مهزوماً وقد تدمرت أحلامه المعسولة الساذجة".

بعد العام1920 ركز مايرخولد نشاطه الإخراجي في المسرح الذي حمل إسمه([17]). ومع بداية العام 1923، أعاد تشكيل فرقته التي أنشأها في العام 1920، مستبدلاًأسمها عدة مرات. كان مايرخولد فنّاناً ذا طبيعة إبداعية متقلِّبة وغامضة بشكل غريب. فهوقادر على أن يتكلم عن الآخرين بصلابة قاطعة وقاسية. أما بما يعنيه، فهو لا يخضع لأي تصنيف.وأيّة محاولة من هذا النوع، هي تبسيط وتضييق لصورة المعلم.

أحد المراقبين الأكثر دقة في دراسة فن مايرخولدطرح السؤال التالي: "هل من الممكن تحديد نشاط مايرخولد من خلال تعريفواحد فقط : " الإبتكار "، الذي غالبا ما يُطلق عليه؟ (...) هل من الممكن تجاهل المسائل الفلسفية التي تطرحها أعماله؟.. كيفنوّفق بين العداء الشديد للمسرح التقليدي، والدعوة المستمرة إلى التطلع الى مسرح عصر الإزدهار.كيف يمكن الربط بين الجدل المستمر ضد المسرح "اليومي" ([18]) السيكولوجي،الذي يدافع عنالمنهجالواقعي والطبيعي والذي بدأ عمليّاً في مسرحية "الغابة" ([19])، وبين التطورات اللاحقة في أحدث إنتاجاته؟ (...) كيف يوّفق هو بينتسخيفه حلاوة بداياته في مسرح الغرفة([20]) وبين الجمالية المتماسكة والمصقولةفي أعماله الأخيرة؟". وكما أن لا حدود للتساؤلات التي تتناول عبقرية مايرخولد و"شعطاته"، فلا حدود أيضا للكلام عن "معارضته الباكرة"، وشغفه بالتدمير، بمافيذلكتدمير ماضيه المسرحي.لقدأحسن ماركوف([21]) الظن، بأنمقولةالوحدة، التيلاتنطبقمطلقاً علىستانيسلافسكي،ليست الامقولة عاطفية تعني بالدرجة الاولىمايرهولدنفسه. لقد لاحظ أن المعلم (الماستر)، الخصب بأفكاره الفنية، لم يكن راضياً عن طلابه، وكثيراً ما تبيّن له أنه باحث وحيد في مختبره الإخراجي. فقد دعابشكل إستفزازي ووقح مؤسس "المنهج"([22]) إلى رمي رزمة أوراقه في النار، بما أنه قد خلق، هو مايرخولد، تقنية فنية دقيقة ومفصلة. لقد وُجدت بين تدوينات ستانيسلافسكي لسنة 1935 – 1936 مسوّدة، أبدى فيها رغبته بأن يدرّس مايرخولد " تقنية البيوميكانيك" في المحترف الذي أنشأه له خصيصا، مما يدلّ على أنه كانت هناك إمكانية تعاون بينهما.

---

[15] Vesnik Theatra

[16] تلميحا الى أسلوب "المعاناة" لبناء الشخصية المسرحية والذي يقصد به معايشة الشخصية. في اللغة الروسية الكلمة تحمل معنيَيْن. هنا يلعب مايرخولد على المعنى السلبي.

[17] TIM = Théâtre immeni(c'est-à-dire au nom) Meyerhold

[18] Théâtre du quotidien

[19] للكاتب المسرحي اأكسندر أوستروفسكي

[20] Théâtre de chambre c'est-à-dire théâtre intimiste

[21] Pavel Aleksandrovitch Markov (1897-1980) - Critique de théâtre de l'époque soviétique, metteur en scène, historien, théoricien du théâtre, et enseignant. Artiste émérite de la RSFSR (1944). Docteur en histoire de l'art.

[22] Les américains d'une façon abrégé appelle le système de Stanislavski : The Methode.يقصد بمنهج ستسلافسكي.

في خريف العام 1920 التحقت زينايدا رايخ ([23]) بمحترف مايرخولد. وقع في حبها من أول نظرة بالرغم من كونه يكبرها بعشرين عاماً. تزوجته وانتقلت معه الى منزله الواقع في شارع نوفينسكي، ثم إنتقلا الى شقة جديدة بعد أن تبنى أولادها قسطنطين وتاتيانا من زواجها الاول من الشاعر سيرغي ياسانين([24]).

غالباً ما كان مايرخولد يسافر للمعالجة في الخارج، أو للقيام بجولة مع فرقته في الكثير من الدولألاوروبية. لقد زار ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا وتشيكوسلوفاكيا.

وفي خريف العام 1928،عندما كان في الخارج أرسل برقية مستعجلة الى موسكو يعلم فيها السلطات السوفياتية بأنه مريض وسيضطر بحكم ظروفه الصحيّة إلى البقاء سنة بأكملها في الخارج. ثم أبلغها أنه قد وافق على جولة أوروبية يقوم بها مسرحه وطلب السماح له بتقديم عروض في كل من المانيا وفرنسا. فإرتاب بأمره لوناتشرسكي([25]) ظنّاً منه بأنّه سيغادر الاتحاد السوفياتي. إن عدم الثقة هذه التي أعرب عنها لوناشارسكيقد أهانت مايرخولد. وكان من الواضح أن مسرحه بدأ يفقد التقدير والإعتبار. ولم يشفع به مستوىثقافته المسرحية العالية التي لا جدال فيها. وتعزّز هذا الشعور بالقلق لدى السلطات، بخاصّة بعد الطريقة التي إعتمدها فريق عمله في تنظيم متحفه، والتي تميّزت بالدقة والتأنّي،بالتشديد والإصرار على الأسلوب والمظهرالتشكيلي في عروضه المسرحية إلخ... (من أرشيف أ.ف فيفرالسكي([26])، م.م كورينيف، ([27]) أ.ك غلادكوف ([28]،)وصور آ.تيمرين([29]). كانو ينشطون، كما لو أن المسرح ومؤسسهسيهلكون، ولن تبقى في المتحف سوى هذه الظلال.

أخرج مسرح مايرخولد ستّ وعشرين مسرحية. كانت غالبيتها لكتاب سوفيات معاصرين ([30]). ومع ذلك،فقد أتهم المسرح بالإنفصال عن الحياة السوفياتية وعن الأدب السوفياتي، والتواصل مع كتّاب "تبيّن" أنهم أعداء الشعب، وأُتهم أيضاًبمعارضة المسار العام للواقعية الاشتراكية. فصدر في جريدة البرافدا(في 17 كانون الاول العام 1937) مقالٌ بعنوان"المسرح المُغَرّب"([31]).وفي 7 كانون الثاني العام 1938،وبقرارمنلجنةالفنونفيمجلسمفوضياتالشعبفيالإتحادالسوفياتي،تمّتْتصفيّةمسرح مايرخولد " لمواقفه وطروحاته الشكلية البورجوازية الغريبة عن الفن السوفياتي". وقد طُلب من نيميروفيتش دانتشكو بعث رسالة تأييد لهذا القرار لنشرها في الجريدة الرسمية لكنه رفضرفضاًقاطعاً.

---

[23] **Zinaida Nikolayevna Reich** 3 July 1894 – 15 July 1939)[1] was a Russian actress and became one of the main stars of the **Meyerhold Theatre** until it was closed under Joseph stalin. Reich married poet Sergey Yassenin and had two children with him

[24] 3 October 1895 – 28 December 1925) was a Russian lyric poet. He is one of the most popular and well-known Russian poets of the 20th century

[25] Anatholie vasilovitch Lounatchersky, 23 November] 1875 – 26 December 1933) was a Russian marxist revolutionary and the first Soviet People's Commissar of Education responsible for culture and education. He was active as an art critic and journalist throughout his career.

[26] A.V.Fevralsky-V. E. Meyerhold 1917-1939- Texte et commentaire. Edition russe. Moscou 1968.

[27] Mikhail Mikhailovittch Kornenev (1889-1980)-Metteur en scène et pédagogue

[28] Feodor Vasilyevich GladkovJune 21 1883 – December 20, 1958) was aSoviet Socialist realist writer.

[29] Alexei Alexeivitch Temerine son vrai nom de famille est Pelevin - 23 fevrier 1889 – 20 aout 1977 – acteur

[30] فإلى جانب مسرحيات مایاكوفسكي، فایكو، إردمان، إهرنبورغ، أليوشا، هرمان، كانت هناك عروض لمسرحيّتَيْ تريتيكوف " انتفضي يا صينن" و "القائد" في العام 1926، و"الطلقة " للكاتب سيلفينسكي في العام 1929 و "نافذة في القرية" للكاتب بيزمينسكي، وسنة 1931 "الخطوة الحاسمة" للكاتب فيشنيفسكي، و"نتاشا" للكاتبة ل.سيّفولينا، وفي سنة 1937" حياة واحدة " للكاتب غابريلوفيتش وهي مقتبسة عن قصة نيقولاي أوستروفسكي.

[31] Un théâtre aliéné

كانمايرخولدمنبينتلك الشخصيّاتالفنيةالروسية التي تحمست منذ البداية لقسوةالإرهاب البولشيفيكي المتعطشةإلى الدماء.لكن، منسنةإلىأخرىتبيَّن تماماًوبشكلمتزايدأنالحياةمابعدالثورةكانتتتحركفيالإتجاهالمعاكسللتوقّعات.وقد راح المسؤولون عن الحياة الفنية يُملون على مايرخولد ماذا عليه أن يُخرج من أعمال وكيف يخرجها. ولم يعد عنده مكان خاص بمسرحه... وأوقِفَتْ ورشة بناء مسرحه الجديد في ساحة النصر.

في ربيع العام 1938، وبعد فشل عرض مسرحية " الحمام" للكاتب مایاكوفسكي، سافرت فرقة مايرخولد الى الخارج.كانتبرلين المدينةالأولىالتي توقّفت فيها ، حيثعرضتإنجازاتالفنالمسرحيلبلادالسوفيات. وفي هذه المدينة تلقى مايرخولد صدمتين، الأولى هي نبأ إنتحار مایاكوفسكي، والثانية على أثر لقائه بالممثل الروسي الكبير ميخائيل ألكسندروفيتش تشيخوف، الذي كان قد غادر الإتحاد السوفياتي مؤخراً. فقد توجه للقائه مع زوجته زينايدا رايخ، وكما ذكر ميخائيل تشيخوف في مذكراته لاحقا، لقد قال لمايرخولد "إياك أن تعود الى موسكو، فسيقتلونك".عند سماعهذلكشعر مايرخولدبالإحراج، فما كان من زينايدارايخإلا أن هاجمتتشيخوفوصرخت به: " يا للخسة!. ما هذا الإستفزاز!..نحنلننتسامحفي ذلك".

كثر هم أولئكالذين، أدانو تصرف رايخ بعدما علموا بهذه الفضيحة. لكن إذا ما تذكرنا أنهاتركتطفلينفيموسكومنزواجهاالاول،ووالديهاوشقيقتهامع ابنها،ومايرخولد قد ترك إبنتيه وأحفاده،عندها يمكننا فهمردةالفعلزينايدانيكولايفنا الهستيريّة.فهي لمتكنتتخيلوقتئذٍ، أنهبعدذلك بتسعسنوات،سيُعتقلزوجهاالذي بات ذا شهرة عالميّة، ويُقتَلفيلوبيانكا.([32]) كما سيُسجن زوجابنتها،وستسارعتاتيانااياسينينا([33])إلىموسكومعطفل على ذراعيهابحثاً عن الخلاص،وأنزوجشقيقتهاسيُعدم رمياً بالرصاص،وأنّ شقيقتهاستشنقنفسها،وأخيراًهي نفسهاسوفتُذبحفيشقّتهاعلى يد مخابرات الأمن الداخلي.

بعد برلين انتقلوا الى باريس حيث لاقت العروض نجاحاً إختلفت الآراء فيه. عاد الى موسكو بعد جولته هذه بمزاجمحبط. لميكن نجاحهما باهراً كما كان متوقعا. في الظاهر بداكلشيءجيداً،ولكنمايرخولدشعربأن الخناق بدأيَضِيق عليه. لقد أخرج مسرحية " والفولاذ قد سقيناه" التي أدخلت الى فهرس العروض حديثاً والمقتبسة عن رواية الكاتب نيقولاي أستروفسكي .

بعدالكثيرمنمحاولاتإنجازالمسرحية (الصيغةالأوللمترضأوستروفسكي،والثانيةأوكِلت صياغتهاإلىالكاتبالشابيفغينيغابريلوفيتش)،وبعدالبروفاتالقسريةالتيلانهايةلها،إنتقل العمل من المراوحة الى العرض ألأول الذي كان مقرراً فيالذكربالعشرينلثورةأكتوبر.لقد علّق مايرخولد كل آماله على هذه المسرحية التي عنونها"حياةواحدة"، وجنّد لها طاقاته وعمل عليها بشغف، واثقا من النجاح.كان، أثناء التمارين، يكلِّم الممثلين عن هذه الرومنسية العنيفة في الثورة والتي يجب تجسيدها على الخشبة. فهو لم يكن يرى في عرضه العتيد، مدخلا أو انعكاساً للرواية، بقدر ما رأى فيه قصيدة معبّرة عن التخطي البطولي للمصاعب غير المسبوقة التي تتحكَّم بمصير الانسان، وكما رأى فيها إنتصاراً للموهبة. فكان يردد باستمرار " إننا نقرأ المسرحية كقصيدة عن شجاعة شبابنا وثباته"، ويضيف " على الجمهور أن يشعر بالمأساة بدون كلام فارغ عن المأساة".

[32]is the popular name for the headquarters of the KGB and affiliated prisonon Lubyanka Square Moscow

[33]La fille de Serguei Yessenin

ولكنمسرحية "حياةواحدة" لم ترالنور على الخشبة.فبعدما شاهدها مسؤولولجنةالفنون، في العرضالمخصّص لهم،فيتشرين الثاني1937، طُلب إليه إعادة "صياغتها". وبعدالعرضالثاني،تمّ حظرها ، ونشرت صحيفة "البرافدا" فياليومالتالي، مقالها "المسرحاالمغرَّب"،تنعت فيهمايرخولدبالمخرج " المستلب" الذي لا ينتمي الى الفنالسوفياتي. وتلاحقت من بعدها الأحداث كما سبق وذكرنا أعلاه .

فيهذهالأياممالمأساوية،لم يخَف ستانيسلافسكيأن يمدّيدالعونلتلميذهومنافسهمايرخولد الذي قبل دعوته وإنتقلإلىدارالأوبرا بإدارة ستانيسلافسكي الذي أصرّ على أنيكون لمايرخولدمكانةفي هذهالدار. فأتى الشريك الجديد وعرّف عن فرقته بنفسه. بدأ مايرخولد التمارين على " ريغوليتو "([34]) في أوائل شهر أذآر. بعدها غادر مع الفرقة في جولة الى مدينة كيسلوفسك حيث فاجأهم عند وصولهم ، نبأ وفاة ستانيسلافسكي.فيما بعدأخبرمايرخولدالكاتب غلادكوف: "أردتأنأهربمنفرداوبعيداعنالجميع، وأبكيمثلصبيفقدوالده."لقد فعل ستانيسلافسكي المستحيل كي يُثبّتمايرخولد في الأوبرا ويبقى فيها بعد موته هو. وبالفعل عُيّن مايرخولد مديراً لأوبرا ستناسلافسكي لكن بعد أن أدرجوا إسمه على لوائح السجناءالمحتملين.

فيأيار وحزيران العام 1939 أعدّمايرخولدبرنامجاً لمشاركةطلابمعهدليسغافت[35] في إستعراض الرياضييفي لينينغراد.كانهذاآخرأعمالهالإخراجية. كما كان آخر إنتصار غير متوقع له في المؤتمر العام لمخرجي الإتحاد السوفياتي. علاالتصفيق في القاعة عندما دُعي الى المنصة. فكان هذا الخطابآخرظهورعلنيله. بعد المؤتمر مباشرة ذهب فسيفولود إميليفيتش الى لينينغراد لتحضير الإستعراض، فأعتقل في شقته ليل 19-20 حزيران.

أمضىبعدها أشهراً تحت التحقيق والتعذيب في سجن المخابرات. أتُّهم بأنه يعمل لأعداء الإتحاد السوفياتي منذ العام 1922. فأرسل من السجن رسالة الى رئيس مجلس مفوضي الشعب ف.م. مولوتوف طالبا العفو، ويقول فيها: ".... هاكم أعترافي بإيجاز، كما هو مطلوب قبل الموت بثواني. لم أكن أبداً جاسوساً. ولم أَنْتَمِ الي أيّة منظمة تروتسكية.(لقد وقفت مع الحزب عندما لعن هذا اليوضاس تروتسكي). لم أتعامل أبداً مع أنشطة مضادة للثورة... لقد تعرضت للضرب، أنا العجوز إبن الستّين ، بطحوني أرضاً ومرّغوا وجهي. ضربوني بسوط من المطاط على أخمصيَّ وعلى ظهري، وعندما جلست على الكرسي ضربونيبقوة بنفس سوط المطاط على رجلَيّ من أمام، من الركب حتى أعلى الفخذ. وفي اليوم التالي، ضربوني مجدداً بنفس السوط على هذه الأمكنة التي كانت تنزف وتسبح بالدم، عانيت من الوجع كما لو أنه ألقي عليّ ماءً مغليّاً. لقد بكيت وصرخت من الألم. ضربوني على ظهري بنفس السوط، كما ضربوني به على وجهي..."

جاءفيالقرارالاتهامي : "في العامين 1934 و 1935،كانمايرخولدمتورطافيأعمالتجسُّس،وكعميل للمخابراتالبريطانيةواليابانيةقامبنشاط ضد إتحادالجمهورياتالإشتراكيةالسوفياتية ....وهو متَّهم بالانتماء الى الكوادر التروتسكية، كما أنه عضو فاعل في هذه المنظمة الناشطة في أوساط العاملين في الفن"

[34]Rigolett***o*** est un opéra italien en trois actes et quatre tableaux de Giuseppe Verdi, sur un livret de Francesco Maria Piave

[35]L'Université nationale d'Etat pour l'Education physique, le Sport et la Santé.Elle a été fondée en 1896 à Saint-Pétersbourg en tant que cours temporaires pour la préparation de l'éducation physique et les leaders du jeu, organisé par Peter Franceivitch Lesgaft.

وبناءعلىهذهالاتهامات،حكمتالمحكمةالعسكريةالتابعةللمحكمةالعلياالإتحادالجمهورياتالإشتراكيةالسوفياتية،فيجلسة مغلقةعقدتفي 1 شباط 1940، علىفسيفولدمايرخولدبالإعدام رمياً بالرصاص. ووفقاللروايةالرسمية،فقد تمتنفيذالحكم فىاليومالتالى، فيقبومبنى المخابرت في شارعلوبيانكا .بعد فترة عُثِر فيأرشيفمفوّضيةالشعبللشؤونالداخلية ([36])،علىمعلوماتمفادها أنّه بعدكل هذاالتعذيب، وقبل موته، كُسِّرت واحداً بعد الآخر كل أصابعفسيفولودمايرخولد، ثمّ أغرقوهفيمياهالصرفالصحّيّ.

رفض مايرخولد أن يوقع على شهادة زور يتّهم فيها كل من إرنبورغ وليونوف وباسترناك وكاتاييف وإيزنشتايّن وشستاكوفيتش([37]) وآخرين من ألأدباء والفنانين المشهورين،بالمشاركة في المؤامرة التروتسكية، وهذ ما أغضب عناصر المخابرات.

تلخِّص هذهالوثائقحياةهذا المخرجِ العبقريّ غيرالعادية، هو "الماستر"، المعلم، ساحر المسرح المعترف به عالمياً،والذي بحسبأوجينفاختانغوف([38]) "وضع أُسُسمسرحالمستقبل".

دُفنمايرخولدفيمقبرة"دونسكوي"([39]) فيموسكو، وهيإحدىالمقابرالجماعية الثلاثلضحاياالقمع. وفي 26 تشرين الثاني العام 1955 أُعيد له اعتباره وفي العام نفسه 1955 أُنتِج فيلم وثائقيّ عن حياته وأعماله.

ألمراجع

هذه الموادّ مستقاة من مواقع مسرح الفن في موسكو وموقع مايرخولد على الروابط التالية:

www.mxat.ru

www.meyerhold.ru

[36]The People's Commissariat for InternalAffairs , (Narodnyi Komissariat Vnutrennikh Del), abbreviated NKVD ,was the leading Soviet secret police organization from 1934 to 1946.

[37]Erenburg, Lionov,Pasternak,Kataev sont des écrivains dramaturges. Eisenchtein est un réalisateur. Shestakovitch est un compositeur.

[38]Eugène Vakhtangov (1883-1922)Élève de Stanislavski, il prend en 1914 la direction d'un groupe théâtral d'étudiants. Doué de grandes qualités pédagogiques, il développe les possibilités créatrices des ses élèves-acteurs, leur permettant de trouver la meilleure extériorisation de leurs dons. Son groupe théâtral, très solidement lié par son enseignement, deviendra le Troisième Studio du Theatre d'Art de Moscou (les Studios étaient de petits théâtres de recherche gravitant autour du Théâtre d'art de Stanislavski), puis, en 1926, en hommage posthume, le théâtre Vakhtangov. Il y monte *Le Miracle de saint Antoine* de Maeterlinck, puis *La Princesse Turandot*.

[39]XVIII-XIX siècles, situé sur le territoire du monastère c'était la nécropole du monastère de Donskoï,)..

V. E. Meyerhold 1917-1939- Texte et commentaire. Edition russe. -A.V.Fevralsky - Moscou 1968

Soloviev – chto bi pomnili – juin 2009- Pourqu'on se rapplle- live archive.**chtoby-pomnili.com**, Культура

Ludmila Kafanova: La voix sèche de la tragédie chayka.org. Le Journal de la Mouette-Numero 6/17 - 19 novembre 2017 -